

الصورة الشعرية عند بشار بن برد والأعشى التطيلي



نورية سعد سالم^(*)

إشراف : د. رمضان سعد القماطي

المقدمة :

للصورة أهميتها، فهي ركن كبير وعنصر جليل من عناصر الأدب فيوساطتها ينقل الأديب عواطفه وأفكاره إلى قرائه وسامعيه . وهي دليل قدرته على الخلق الفني، إذ بها يبرز الكائنات، ويحرك الجمادات .

فالصورة جوهر الشعر وأساس الحكم عليه، والأعشى بفقده البصر فقد أهم حاسة في تكوين الصورة، فضلاً عن شعوره بالألم والحزن، فالعشى إعاقة تفوق كل الإعاقات، ويؤثر على صاحبه تأثيراً قوياً .

واخترت بشار بن برد والأعشى التطيل ليكونا مدار بحثي، فكلاهما أعمى، وكلاهما استطاع أن يثبت وجوده ويخلف نتاجاً شعرياً رائعاً، إلى جانب أنهما يمثلان بيئتين مختلفتين، تميزت كل منهما بنتاج شعري غزير، وانفرد كلاهما بصوره الشعرية، فالعشى الحقيقي عى البصيرة لا البصر، قال تعالى : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي

(*) طالبة دكتوراه، قسم اللغة العربية، كلية البنات، جامعة عين شمس .

الصُّنُور^(١)» وخلف الشاعران نتاجاً شعرياً لفت أنظار الدارسين، ونال تقديرهم.

وبالرغم من تقليدهما للمبصرين، فقد أتيا بما لا يقدر المبصرون عليه، وبرزت في شعرهما صورٌ تفوق صور المبصرين، فما مدى تأثير العمى في شعرهما . وهذا هو محور البحث الذي ستقدم فيه الباحثة نبذة عن حياة الشعارين، ثم أثر العمى على الصورة عندهما .

التمهيد :

أولاً : حياتهما

أ - بشار بن برد، نسبه، نشأته، تنقلاته، موته

هو بشار بن برد بن يهمن، وقيل ابن العقيلي بالولاء، ولد في البصرة حوالي ٨٦هـ - ٧١٤م، من أب طيَّان يعيش من ضرب اللبن، وكان فارسي الأصل يَدْعَى برداً، كان وامرأته ملكاً لامرأة عقيلية اعتقت بشاراً، فانتسب إلى بني عقيل بالولاء، وكان أشجع شاعر قيس^(١) عيلان في وقته لم يكن فيهم غيره، فصححوا نسبه، وكان يكنى أبا معاذ، ويلقب بالمرعث؛ لأنه يضع قرطاً في أنفه والقرط يسمى الرّعة^(٢)، وهو من مخضرمي شعراء الدولتين الأموية والعباسية^(٣) .

(١) سورة الحج من آية ٤٦ .

(٢) قيس من العشائر التي حافظت على اسمها الأصلي، وتسكن في حرّان وبعض أفرادها في العراق، ينظر معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، عمر رضا كحالة : ١٣٩/٥ .

(٣) ينظر لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، مادة رعث : ١٥٢/٢ .

(٤) ينظر وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين بن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت لبنان، ١٩٦٩ ف: ٢٧٢/١، ومعاني الشعر، لأبي = عثمان سعيد الاشنانداني، حققه عز الدين التتوخي، دمشق، ١٩٦٩ ف: ٧٤، وتاريخ الشعراء المحدثين، كتاب الأوراق، لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي، دار المسيرة،

الصورة الشعرية عند بشار بن برد والأعمى التطيلي

فكر وإبداع

١ - نشأته وتنقلاته :

نشأ بشار بن برد في البصرة، وهي إذ ذاك إحدى حواضر العلم والأدب، فنهل منها ما استطاع من علم ومعرفة، وعندما تيسرت حاله اتخذ داراً فاخرة في البصرة، وكان معوج الخلق يعيش للخمر والإثم^(١) ووصف بأنه فاسق ماجن^(٢). إذ "جعل لنفسه مجلسين نعت أحدهما باسم البردان والآخر باسم الرقيق، وكان يجلس في أحدهما بالغدأة، وفي الثاني بالعشي، وتقبل عليه في هذه المواطن النسوة والجواري يحادثنه، ويلهون معه"^(٣).

كان بشار "يقارب النساء، حتى ل يخفى عليهن ما يقول، وما يريد"^(٤) فاجتماعه مع النساء جعله يدقق على سماعهن لكونه أعمى، وبالسَّمع تمكن من إدراك جمالهن "فيروى أنه كان في مجلس فيه نساء، وكانت إحداهن تكثر الضحك فالتفت بشار إلى جاره وقال : أ رأيتَ فلانة هذه؟ ألسنت تراها حسنة الأسنان ؟ فقال له جاره ويحك ! وكيف عرفت ؟ قال " إنما تكثر الضحك دون صويحاتها لتبدي جمال ثناياها"^(٥) وبذلك أدرك ما يدركه المبصرون من جمال وحسن بوساطة السَّمع، وكان شعره سياراً يتناشده الناس مؤثراً في قلوبهم؛

بيروت لبنان، ط ٢، ١٩٨٢ ف : ٧٤، وتاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، شوقي ضيف، دار المعارف مصر، ط ٨، ب.ت : ٢٠١، وتاريخ الأدب العربي حنا الفاخوري، منشورات المكتبة البوليسية، بيروت، لبنان، ط ١٠، ١٩٨٣ ف : ٣٧١.

^(١) ينظر الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور، شوقي ضيف، دار المعارف، مص، ١٩٧٧ ف : ٩٧.

^(٢) ينظر خصائص الأدب العربي، أنور الجندي، دار الكتاب اللبناني بيروت، دار الكتاب المصري، القاهرة، ب.ت : ١٧١.

^(٣) بشار بن برد دراسة وشعر، محمد الصادق عفيفي، دار الرائد العربي، بيروت لبنان، ١٩٨٣ ف : ٦١.

^(٤) مختار الأغاني، لأبي الفضل جمال الدين بن منظور المصري، المكتبة المركزية، ط ١، ١٩٦٤ ف : ١٤٠/٢.

^(٥) مراجعات في الأدب والفنون، عباس محمود العقاد، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط ١، ١٩٦٦ ف : ٢١٣.

فأثار شعره الماجن حفيظة الفقهاء وشيوخ الدولة؛ لأنهم رأوا فيه خطراً، إذ كان شباب البصرة وجواربها من المغنيات والمغنين يرددون غزله المتهتك فظلوا به حتى نفوه عن البصرة ١٢٧هـ، وبذلك ترك البصرة ويمم حران قاصداً سليمان بن هشام^(٦)، وعندما لم يحفل به غادره إلى والي العراق ابن هبيرة الفزاري^(٧) الذي كان يجلس شعر بشار لحسن مدحه لقيس عيلان، فأخذ بشار يمدح ابن هبيرة إلى أن قتل سنة ١٣٢هـ، وسقطت الدولة الأموية، وظل بشار غائباً عن البصرة حتى توفي عمرو بن عبيد^(٨) خليفة واصل بن عطاء^(٩) فعاد إليها وأخذ يمدح ولاتها، ويتقرب إليهم بين الحين والآخر، وحاول التقرب إلى المنصور غير أنه لم يتحصل منه على طائل وعندما توفي المنصور ١٥٨هـ خلفه المهدي فطمحت نفس بشار إلى الوفاة عليه والحصول على جوائزه، فمدح المهدي، ونال ثواباً حسناً فجعله من سماره وممن يحضرون مجالسه، وكانت في المهدي شدة في شئون الدين، وقد سمع عن بشار أنه يفسد النساء، والشباب بغزله الفاضح فأمره أن يكف عن ذلك^(١٠)، وهدده بالقتل إن عاد لغزله الفاضح، وبشار يذكر في شعره أن الخليفة المهدي أمره بالكف عن الغزل فقال :

إن الخليفة قد بغى وإذا أبى شيئاً أبيته

(٦) سليمان بن عبد الملك بن مروان من بني أمية، نشأ في دمشق، وغزا في زمن أبيه أرض الروم، وله شعر جيد، ينظر الأعلام خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١١، ١٩٩٥ ف: ١٣٧/٣.

(٧) يزيد بن عمر بن هبيرة، أمير وقائد من ولاية الدولة الأموية، كان خطيباً شجاعاً، ضخماً الهامة طويل الجسم، قتل في عهد السفاح، ينظر الأعلام: ١٨٥/٨.

(٨) عمر بن عبيد، عاش من ٨٠ إلى ١٤٤هـ، شيخ المعتزلة في عصره ومفتيها، وأحد الزهاد المشهورين، ينظر الأعلام: ٨١/٥.

(٩) ولد واصل بالمدينة، ٨٠هـ، ت ١٣١هـ، ولقب بالغزال؛ لأنه يجلس في سوق الغزلين، ينظر الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي دار الكتب العلمية، بيروت، ب: ١٥.

(١٠) ينظر تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول: ٢٠٥.

وقال :

ونَهاني الملكُ الهما مٌ عن النساءِ وما عَصِيتهُ^(٢)
إلا أنْ بشاراً لم يتمالك نفسه عن عدم العودة إلى الغزل الفاسق فأهمله
الخليفة المهدي، ولم يعد يحفل به .

٢- موته :

يمكن القول إن هجاءه كان سبباً في موته، فعندما تولى يعقوب بن
داوود^(٣) وزارة المهدي حاول بشار أن يكسب رضاه، فأخذ يمدحه، وبرضاه
يكسب رضا الخليفة غير أن الوزير لم يعبأ به، ولم يكثر له، فغضب بشار
فهجاه، وهجا الخليفة فغضب يعقوب بن داوود، وأخذ يكيّد لبشار وأعلم
الخليفة المهدي بما قاله فيه بشار^(٤) ومن ذلك قوله :

يأبها الناس قد ضاعت خلافتكم إن الخليفة يعقوب بن داوود
ضاع خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفة الله بن الزرق والعود^(٥)

وكأنه يستنهض الأمويين لاستعادة الخلافة مع أن بشاراً لا يريد ذلك
ولكنه يبالغ من الإيلام والإيجاع للعباسيين حتى يسيطر الخليفة على كل
شيء^(٦) .

(٢) ديوان بشار بن برد، تقديم وشرح وتكميل محمد الطاهر بن عاشور، بلا : ٢٠/٢، الملك
الهمام، المقصود الخليفة المهدي .

(٣) يعقوب بن داوود بن عمر السلمي بالولاء، كاتب من أكابر الوزراء في العصر العباسي،
ينظر الأعلام : ١٩٧/٨، ١٩٨، وفيات الأعيان : ١٩/٧ .

(٤) ينظر الكامل في التاريخ لابن الأثير، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق، دار الكتب
العلمية، بيروت لبنان، ط ٣، ١٩٩٨ ف : ٢٦٣/٥ .

(٥) ديوان بشار بن برد : ٩١/٣ .

(٦) السخرية في أدب الجاحظ، السيد عبد الحليم محمد حسين، الدار الجماهيرية للنشر
والتوزيع والأعلام، ط ١، ١٩٨٨ ف : ٨٣ .

وتحامل الوزير يعقوب على بشار وأخذ يقبح صورة بشار في عيني الخليفة متهماً إياه بالزندقة حتى أمر الخليفة بقتله، فقتل على الزندقة، إذ ضرب سبعين سوطاً مات منها حوالي سنة ١٦٨هـ - ٧٨٤ ف^(٢)، وكان بشار مكروهاً عند أهل البصرة، بغضاً إليهم، وثقيلاً عليهم، وعند موته فرح عامة أهل البصرة وابتهجوا بذلك^(٣).

ب - الأعمى التطيلي

١ - نسبه، نشأته، تنقلاته :

هو أحمد بن عبد الله بن أبي هريرة^(٤) المعروف بالأعمى التطيلي، وبعض الكتب القديمة تذكر الشاعر باسم (الأعمى)^(٥) بالتصغير، وينسب من حيث القبيلة إلى قيس وإلى البلد، فيقال التطيلي الإشبيلي، ولم تحدد المصادر تاريخ ومكان ميلاده كما أنها اختلفت في كنيته بين أبي جعفر^(٦) وأبي العباس^(٧)، فالأخبار عنه قليلة والتطيلي نسب الشاعر إلى مدينة تطيلة^(٨) وقد

^(٢) ينظر رسالة الغفران، لأبي العلاء المعري، دار صادر، بيروت، ب. ت : ٢٩٥، وتاريخ الأدب العربي: ٣٧٢.

^(٣) ينظر تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، طه حسين، دار العلم للملايين، ب. ت : ٨٦.

^(٤) وردت ابن هريرة في المغرب في حلي المغرب، لابن سعيد المغربي، حققه وعلق عليه شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط ٢، ب. ت : ٤٥١.

^(٥) وردت صفة - الأعمى، في الوافي بالوفيات، تأليف صلاح الدين بن أبيك وآخرين، باعتماد إحسان عباس، دار النشر فرانز شتايز بقيسبان، ط ٢، ١٩٨١ ف : ١٢٧/٧، والأعلام : ١٥٨/١٢.

^(٦) يكنى بأبي جعفر في الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام، تحقيق إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس ١٩٨٧ ف : ٧٢٨/٢/٢، وفي قلاند العقيان، الفتح بن خاقان، قدم له ووضع فهارسه، محمد العنابي، دار الكتب الوطنية، تونس، ب. ت : ٣١٥، في خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء المغرب والأندلس، لعماد الأصفهاني الكاتب تحقيق أنر تاش أذنوش، نقحه وزاد عليه محمد المرزوقي وآخرون، الدار التونسية للنشر، ١٩٧٢ ف : ٥١١/٣.

^(٧) ويكنى بأبي العباس في الوافي بالوفيات : ١٢٦/٧.

ضبطها ياقوت الحموي في معجمه بالضم ثم الكسر وياء ساكنة ولام^(٩) وضبطت النسبة إليها بالشكل على هذا النسق في تحقيق معظم المصادر الأندلسية^(١) وعلى الرغم من اشتهاؤه بالتطيلي فإنه يغفل ذكرها في أدبه. مما يجعلنا نفترض أن الشاعر لم يحمل من بلده الأصلي إلا النسبة إليه . وأنه ربما ولد في إشبيلية، أو هاجر إليها وهو صغير وهذا ما يفهم من قوله: فبالله ما استوطنتها قاتع بها ولكنني سيف حواه قراب^(٢) وقوله :

نبت بي فكنت العرف في غير أهله يعود على أهليه وهو تباب^(٣) يبدو أنه استوطنها رغماً عنه فهو غير راض عن إقامته فيها، ويقول في موضع آخر إنه نزح عن وطنه .

ذكرتك ذكر النازح الدار دارمُحيث هواه من سحيل ومُبرم^(٤) بهذا فالشاعر قد قضى أكثر أيامه في إشبيلية، ومدح رجالها البارزين^(٥) فأشبيلية جميلة بطبيعتها وطقسها، وعامرة بمجالس أدبائها، وشعرائها،

^(٩) وهي مدينة في الأندلس في ولاية نواراة على الضفة اليمنى من نهر آبرة، وهي مدينة غزيرة المياه كثيرة الأشجار والأنهار، ينظر دائرة المعارف قاموس عام لكل فن ومطلب، بطرس البستاني، دار المعرفة، بيروت: ١٦٣/٦، والحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، شكيب أرسلان، دار مكتبة الحياة، بيروت، ب.ت: ١٦٨/٢ .

^(١) ينظر معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت: ٣٢/٢ .
^(٢) الأعشى التطيلي حياته وأدبه، عبد الحميد الهرامة، المنشأة الوطنية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ط١، ١٩٨٣ ف: ١٨ .

^(٣) ديوان الأعشى التطيلي، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت لبنان، ١٩٨٩ ف: ٩ .
^(٤) نفسه: ٩، وتباب: خسران وهلاك، لسان العرب، مادة تباب: ٢٢٦/١ .

^(٥) ديوان الأعشى التطيلي: ١٧٢، والسحيل: الحبل على قوة واحدة، لسان العرب، مادة سحل: ٣٢٧/١١، والمبرم: الحبل الذي جمع بين مقتلين فقتلا حبلاً واحداً، لسان العرب، مادة برم: ٤٤/١٢ .

^(٥) توشيع التوشيع، صلاح الدين أبيك الصفي، تحقيق البير حبيب مطلق، دار الثقافة، ط١، ١٩٦٦ ف: ١٩٥ .

وعلمائها فهم جميعاً يستمتعون بمناظرها الخلابة ويتغنون بها. وعلى الرغم من أن التطيلي قد حرم نعمة النظر لكنه لم يحرم من التمتع بطبيعتها، فلم تخذله حواسه السليمة من إدراك جمال الطبيعة والاتصال بها، فسمع عن أوصافها، ومعالمها واستنشق عبير حداثتها، وشعر بدفئها وبردها .

وإشبيلية موطن العلم والفن والجمال، والتطيلي نشأ في هذه البيئة المثقفة التي أسهمت في صقل مواهبه وإنكائه قدراته العقلية، والذهنية، فكانت منهل ثقافته المتنوعة، فهي دار الفنون والآداب. ومع هذا فالتطيلي قد ضاق بها وتمنى مغادرتها، وفي شعره إشارات لذلك حيث قال :

مَكَلَّتْ حِمَصَ وَمَكَلَّتِي قَلْوُ نَطَقَتْ كَمَا نَطَقَتْ تَلَا حَيَّنَا عَلَى قَــــدَرِ
وسولت لي نفسي أن أفارقها والماء في المِزْنِ أَصْفَى مِنْهُ فِي الْغُذْرِ^(١)
قد يكون سبب ضيقه من إشبيلية عدم تقدير الناس للعلم والأدب وعدم اهتمام أهلها به، فيذكر ذلك قائلاً :

وما كنت أخشى أن أحلَّ ببلدة بها غَصَصٌ مِنْ أَهْلِهَا وَهِيَ بَلَقْعُ^(٢)
وما أخلوني لكن المجد أخلوا وما ضيعوني لكن العظم ضيعوا^(٣)
وقد عاصر التطيلي مجموعة^(٤) من الشعراء^(٥)، وفي صحبتهم ثقافة للشاعر، إذ يستفيد من وصفهم لما يشاهدون، ومن صورهم وأخيلتهم، وهذا يساعد المكفوف على تعويض بصره .

(١) ديوان الأعمى التطيلي : ٤٩ .

(٢) غصص : مفرداً غصة وهي الشجيرة في الحلق، لسان العرب، مادة غصص: ٦٠/٧، وبلقع : الأرض القفر التي لا شيء بها، لسان العرب، مادة بلقع : ١٢/٨ .

(٣) ديوان الأعمى التطيلي : ٧٩، وأخلوني : أخفوا ذكرى، لسان العرب، مادة خَمَل : ٢٢١/١١ .

(٤) ومنهم ابن خفاجة وابن الزقاق، وابن بقي وغيرهم .

(٥) ينظر تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٢ : ٨٠ .

غير أن الشاعر في عصر التطيلي لم تعد له تلك المنزلة "ففي عصر المرابطين تراجعت منزلة الشاعر أكثر من ذي قبل" ^(٦) فأخذ الشعر بالكسوف فحكام المرابطين لم يدركوا أهمية الشعر، والأدب في دعم السلطان السياسي ^(٧) فعدم اهتمام الإشبيليين بالأدباء وعدم تقديرهم للعلماء قد أزعج التطيلي "فعبّر في بعض لحظات الإحساس بالتهاسة عن هذا المعنى بأجلى عبارة حين قال : (قال مالك) قد طردت (قام زيد) أي : أنّ الفقه قد أبعد الأدب واللغة وأصبحت الكلمة العليا للفقهاء" ^(٨) وفي هذا السياق قال :

أيا رحمتا للشعر أقوت ربوعه على أنها للمكرمات مناسك
كما قال :

وللشعراء اليوم ثلث عروشهم فلا الفخر مختال ولا العزّ تامك ^(٩)
ويا "قام زيد" أعرضي أو تعارضني فقد حال من دون المنى : قال
مالك ^(١٠)

ولم يكن التطيلي وحده يشكو عدم الاهتمام بالعلم والأدب، فقد شاركه آخرون منهم صاحب الذخيرة حين قال : "والأدب بها أقل من الوفاء، حامله أضيع من قمر الشتاء، وقمة كل أحد ماله، وأسوة كل بلد جهاله" ^(١١) .
تتقل التطيلي بين المدن، واختلط بأناس جدد، واكتسب معارف جديدة، ومن المدن التي انتقل إليها قرطبة، فقد كان يجلبها حتى إنه يسميها بدار

^(٦) نفسه : ٨٠ .

^(٧) ينظر الأدب الأندلسي في عصر الموحدين، تأليف حكمت علي الأوسي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ب.ت : ٩٥ .

^(٨) تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين : ٩٠ .

^(٩) ثلث : هلك، لسان العرب، مادة ثلث : ٩٠/١١، وتامك : مرتفع، لسان العرب، مادة تمك : ٤٠٧/١٠ .

^(١٠) ديوان الأعشى التطيلي : ٩٠، ٩١ .

^(١١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : ٢٠/١/١ .

للخلافة، ولم تعرف مدة إقامته بها، وفيما عدا هذا لا تسعفنا المصادر بشيء عن المدن التي انتقل إليها^(٣).

٣- موته

ذكر الصفدي^(٤) في نكت الهميان، وفي الوافي بالوفيات أن التطيلي توفي سنة ٥٢٥ هـ وبعض المصادر^(٥) تذكر أنه مات شاباً. ولكن يوجد في شعره ما يدل على أنه وصل سن الكهولة والشيب حل بشعره إذ قال:

أفادني حبك الإبداع مـكـتـهـلا وربما نفع التعليم في الكبر^(٦)
وفي ذكر الشيب قال :

هل الشيب إلا الرشد جلي غوايتي فأصبحت لا يخفى علي صواب^(٧)
وقال :

وليس للمرء بعد الشيب مقتبل نهاية الروض أن يعتم بالزهر^(٨)
بهذا ندرك أن الشيب لم يأت قبل أوانه، وإنما حل بشاعرنا بعدما تجاوز مرحلة الشباب، وفي هذه الفترة ينصرف الإنسان عن حياة الترف واللهو، ويشعر بدنو أجله فيقبل على حياة العبادة، والتزهد .

(٣) ينظر الأعمى التطيلي حياته وأدبه : ٣٠ .

(٤) خليل بن إيبك بن عبد الله الصفدي صلاح الدين، أديب مؤرخ، كثير التصانيف الممتعة، ولد في صفد بفلسطين، ٦٩٦ هـ - ١٢٩٦ م، وإليها نسب، ت ٧٦٤ هـ - ١٣٦٣ م، الأعلام: ٣١٥/٢ .

(٥) كالذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : ٧٢٨/٢/٢، والقلاند : ٣١٥، والخريدة : ٥١١/٣ .

(٦) ديوان الأعمى التطيلي : ٥٢ .

(٧) نفسه : ٩ .

(٨) نفسه : ٥٠ .

ثانياً : عاهة العمى عند الشعارين

كلا الشعارين أعمى . فهل عاهة العمى كانت منذ الميلاد؟ أم أنها من حوادث الزّمن؟ وهذا ما نود معرفته فقد أجمعت المصادر على أن بشاراً ولد أعمى (أكمه)^(١) فقد جاء في الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني، ت: ٣٥٦هـ — "ولد بشار أعمى فما نظر إلى الدنيا قط"^(٢) وجاء في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ت : ٤٦٣هـ "ولد أعمى وهو المقدم من المحدثين"^(٣) وفي وفيات الأعيان لابن خلكان، ت : ٦٨١هـ "وكان أكمه ولد أعمى جاحظ الحذقتين قد تغشاهما لحم أحمر"^(٤) ووردت هذه العبارة في العديد من المصادر الأخرى التي أشارت إلى حياة الشاعر^(٥).

وشهادة الشاعر على نفسه أنه أعمى منذ الميلاد أقوى الأدلة؛ لأن الإنسان لا ينسب لنفسه الشرور والآفات كذبا . وكان يفخر بالعمى، ومع العمى يدرك ما لا يدركه أكثر المبصرين^(٦)، ووردت له أبيات في بعض المصادر تدل على عماه^(٧) ومن هذه الأبيات قوله :

عميتُ جنينا والذكاء من العمى فجئتُ عجيب الظن للعلم مَعْقِلا^(٨)

(١) الأكمة : الذي يولد أعمى، ينظر مختار الصحاح : ٥٧٩ .

(٢) الأغاني، لأبي الفرج الأصبهاني، تحقيق إبراهيم الإبياري، الشعب القاهرة، ١٩٦٩ ف : ٩٨٨/٣ .

(٣) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان : ١٢/٧ .

(٤) وفيات الأعيان : ٢٧٢/١ .

(٥) ينظر مرآة الجنان وعبرة اليقظان، للياضي، وضع حواشيه خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط ١١، ١٩٩٧ ف: ٢٧٥/١، وخزانة الأدب، لعبد القادر البغدادي، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٨ ف : ٢٣٠/٣ .

(٦) ينظر، البرصان والعرجان والعميان والحوالان، للجاحظ، تحقيق محمد مرسي الحولي، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٩٨١ ف: ٧ .

(٧) ينظر الأغاني : ٩٨٨/٣، وتاريخ بغداد : ١١٤/٧ .

(٨) ديوان بشار بن برد : ١٥٨/٤، وملجأ : لسان العرب، مادة عقل : ٤٦٥ .

والتطيلي أعمى أيضاً، وكما أشرنا سابقاً فإن بعض الكتب القديمة تذكر التطيلي باسم (الأعمى) بالتصغير، وربما كان التصغير من قبل التدليل والملاطفة إذ يمكن أن يكون الشاعر قد فقد بصره في سن مبكرة فالتصق به هذا اللقب، وفي شعره ما يدل على أنه فقد بصره بسبب حوادث الزمان قال :

وكان حراماً أن تجود بدمعة وقد تركتها الحادثات بلا شفر^(١)

فربما قصد بالحدائث مرضاً ألم به فأفقده بصره .

ثالثاً : أثر العمى في بناء شخصية الشاعرين

إن كَفَ البصر في حد ذاته أزمة تورث صاحبها العَقْدَ، والآفات النفسية والحسية^(٢) فالعاهة حتى ولو لم تكن ظاهرة الشكل فهي تؤثر تأثيراً قوياً على نفسية الفرد، وسلوكه^(٣) والتطيلي مع أنه أكثر قبولاً لعاهته من بشار إلا أنها ولدت في نفسه الحزن والكآبة فقد كان لفقده بصره تأثير قوي على شخصيته، وسلوكه، ومع هذا كان قليل الشكوى فتقبل حقيقة عماء دون أن يحيطها بالشكوى المستلعة إلا في القليل، فلا يتحدث عن عماء إلا نادراً من ذلك قوله:

أما اشتفت مني الأيام في وطني حتى تضايق فيما عَنَ من وطر
ولا قضت من سواد العين حاجتها حتى تَكُرُّ على ما كان في الشَّعر^(٤)
"والعاهات الجسمية تعرض المعوق لمواقف مزعجة تجعله ساخطاً على نفسه وعلى الناس وعلى المجتمع"^(٥) فالعاهة تؤثر على نفسية صاحبها، ولكن

(١) ديوان الأعمى التطيلي : ٧٢، وشفر : منابت الأهداب من الجفون، لسان العرب، مادة شفر : ٤١٩/٤ .

(٢) ينظر رحلة الشعر العربي من الأموية إلى العباسية، مصطفى الشكعة، عالم الكتب، بيروت لبنان، ١٩٧٩ ف: ٥٥٧، وشار بن برد، شاعر الوجد والتحدي، عاصم الجندي، دار المسيرة، ط١، ١٩٩٣ ف: ١٧ .

(٣) علم النفس العام، رمضان القذافي، منشورات الجامعة المفتوحة، طرابلس، ب.ت : ٣٠٥ .

(٤) ديوان الأعمى التطيلي : ٤٩ .

لا يمكننا إطلاق أحكام عامة "على العامة وما يصاحبها من مظاهر السلوك، وإنما تصبح كل منها حالة خاصة لا يمكن الحكم عليها إلا من خلال سلوك صاحبها، ومكونات شخصيته"^(١) فسلوك التطيلي كان غير سلوك بشار، فالتطيلي حسن الطبع لم يؤذ أحداً، ولم ينقم على الناس كما فعل بشار الذي "أورثته عاهته تبرماً بالناس ونقمة عليهم"^(٢) فبسبب طبعه السيء كرهه الناس . فلو أنه أحسن التصرف وركن إلى الوقار أرغم الناس على الرفق به والعطف عليه، ولكن من البائسين من يكون البؤس سبب السخط عليهم، لأنهم يسيئون احتمال البؤس، فكم سخطت على معدم، وكان عليك أن ترحمه، وذلك لأنه لم يعرف كيف يكون معدماً فقيراً^(٣) فبشار قد ضاق بالناس، واتجه إلى هجائهم، فهو ساخط على المجتمع ثائر على ما فيه، وهذا الشعور مركز في نفسه^(٤) فكان لا يرتاح حتى ينهش أعراضهم، ويصب عليهم ما في نفسه من حق، وبغض .

بينما التطيلي، لم ينقم على الناس فقد كان حسن الطبع وبالرغم من حزنه فإن "إيمانه بالله ورضاه بقضائه ويقينه بأن الدنيا دار فناء، يقلل من حزنه، ويساعده على تقبل واقعه"^(٥) ذلك ما يبدو واضحاً في قوله :

عندي رضى بالله لا يعتري ريب ولا يعرفه إلباس^(٦)

(٥) المدخل إلى علم الصحة النفسية، كمال إبراهيم مرسى، دار القلم الكويت، ١٩٨٨ ف: ١٣٦.

(٦) علم النفس العام : ٣٠٥ .

(٧) تاريخ الأدب العربي، الأعصر العباسية، عمر فروخ، دار العلم للملايين، ب.ت : ٣٩/٢ .

(٨) من تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول : ٨٦ .

(٩) ينظر الهجاء والهجاءون في الجاهلية، محمد محمد حسين، دار النهضة العربية، بيروت، ط ٣، ١٩٧٠ ف: ٣٢ .

(١٠) الأعمى التطيلي حياته وأدبه : ٩٥ .

(١١) ديوان الأعمى التطيلي : ٧٧، ويعروه : يغشاه وينتابه، لسان العرب، مادة عرو : ٤٤/١٥ .

أثر العمى على الصورة الشعرية

لآفة العمى أثر كبير على حياة المكفوف من حيث علاقته بمجتمعه وسلوكه في الحياة، ونهج تفكيره وأسلوبه الفني، فقد تركت هذه الآفة إحساساً مريراً مؤلماً في نفس المكفوف . فبشار قد "أورثته عاهته تبرماً بالناس ونقمة عليهم" ^(١) بينما التطيلي بالرغم من ألمه فلم يؤذ أحداً ولم ينقم على أحد، فقد كان أكثر قبولاً لعاهته من بشار "فايمانه بالله، ورضاه بقضائه، ويقينه بأن الدنيا دار فناء يقلل من حزنه ويساعده على تقبل واقعه" ^(٢) ولا يستطيع أحد أن ينكر أن العمى يؤثر على صاحبه، فتحدث عنده ربود فعل متنوعة منها :

١- إنكار العاهة

من الوسائل التي يسلكها الأعمى للتفاد عن ذاته، وإثبات وجوده إنكار العاهة، ففي إنكار عاهته سعى لجعل شخصه مبصراً، وذلك لما يبذل من جهد عقلي ونفسي كبيرين، كما يعتد ببصيرته ويفخر بها، وفي ذكره العيون نجده أحياناً يلغي أهميتها، ويحل محلها شيئاً آخر كالْبصيرة والأذن، وقد أقر بشار بذلك في مسائل العشق والغرام حيث قال :

قالوا بمن لا ترى تهذي فقلبت لهم الأذن كالعين تؤتي القلب ما كانا ^(٣)
وهو بهذا يحقق انتصاراً له ولكل العميان، فالأعمى له مشاعر وأحاسيس ولا يصح إنكار الحب والعشق عليه لكونه أعمى، وهو بذلك لا يقنع نفسه

(١) تاريخ الأدب العربي، الأعصر العباسية : ٣٩/٢ .

(٢) الأعمى التطيلي حياته وأدبه : ٩٥ .

(٣) ديوان بشار بن برد : ٢٢٨/٤ .

فقط بل المجتمع كله إذ انتزع حجته من منطق المبصرين الذين يقولون :
(الحب أعمى) فالبصر ليس كل شيء في مسائل الحب فالحب موطنه القلب،
وما البصر إلا وسيط ينقل الإحساسات البصرية إلى القلب، كما تقوم الأذن
بنقل الإحساسات السمعية إليه أيضاً.

من مظاهر إنكار العاهة توهم بشار أنه كان في يوم من الأيام مبصراً،
وإن المرأة التي يسعى لإقناعها هي السبب في ذهاب بصره قال :

ألا يا نور عيني _____ ذي كنت به أنظر

إذا ما غبت لم أغف ولم أسمع ولم أبصر^(١)

ويساوي بين السمع والبصر في القيمة فيرى أنه لا فرق بينهما حيث قال:
إذا بديت رأيت الناس كلهم يرمون نحوي بأسماع وأبصار^(٢)

ساوى السمع بالبصر، بالرغم من أن الملاحظة تكون بالإبصار؛ فمدى
البصر أطول من السمع، ولكنه يريد أن يؤكد على المساواة بينهما، وهو في
ذلك لا يحيد عن الحقيقة، فانه قد ساوى بين السمع والبصر والفؤاد حين قال
: ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾^(٣) وفي مساواة
الأعشى بين السمع والبصر إنكار لعاهته وبيان بأن السمع لا يقل قيمة عن
البصر وقد "يتخذ الإنكار أبعاداً تصل إلى حد الاعتداد بالعاهة؛ لأنها تورث
البصيرة، أو تصل حد التندر بزهو المبصرين الذين لا يملكون ما يملكه
الكفيف من قدرات لا يحس بوجودها هؤلاء المزهوون"^(٤)، ومن ذلك قول
الشاعر :

(١) نفسه : ٢٧١/٣، ٢٧٢ .

(٢) نفسه : ١٥٣/٣ .

(٣) سورة الإسراء من الآية : ٣٦ .

(٤) شعر المكفوفين : ٦١ ، ٦٢ .

إذا ولد المولود أعمى وجدته وجدك أهدى من بصير وأجولا^(٥)
وأحياناً ينكر بشار والتطيلي أعينهما، وكأنهما مبصران وهذا ناجم عن ألم
نفسي فهما يتألمان لفقدتهما البصر، ويتمنيان لو كانا مبصرين، ولذلك يحاولان
أن يفعلوا فعل المبصرين فينكرا ما بهما من عاهة ويجعلا العين تقوم بكل
مهامها وكأنها سليمة .

من ذلك قول بشار :

يكلّمها طرفي فتومي بطرفها فيخبرُ عمّا في الضمير من الوجد^(٦)
وقوله :

كانَ عيني تراها في مجاسدها إذا رأيتُ رسوم الدار والنّادي^(٧)
وقوله :

يا منظراً حسناً رأيتُـه من وجه جارية فديتُـه^(٨)
وقوله :

سوى شوق عيني إلى وجهها وأنّي إذا فارقتُ أكمذ^(٩)
فبشار يوهنا أنّه مبصر، وأنّه عالم بفضيلة الحسن والجمال ويستطيع أن
يقوم بما يقوم به المبصرون، فيرسم على الثرى ويتمتع بالنظر لما يرسم
قائلاً:

وإني كلما اشتقت إلى وجهك صورته
أتلجى شهباً منك على التّرب إذا اشتقته^(١٠)

(٥) ديوان بشار بن برد : ١٥٨/٤ .

(٦) نفسه : ٥٢/٤، وتومي : أي تشير بأحد الأعضاء كاليد والعين والرأس، لسان العرب، مادة ومي : ٤١٥/١٥ .

(٧) ديوان بشار بن برد : ٢٢٣/٢، والمجاسد : جمع مجسد وهو القميص المشيع بالزعفران، لسان العرب، مادة جسد : ١٢١/٣ .

(٨) ديوان بشار بن برد : ١٩/٢ .

(٩) نفسه : ١١٦/٣ .

وقوله :

خططتُ مثالها وجلستُ أشكو إليها ما لقيت على انتخاب^(٤)
والتطيلي لا يقل عن بشار في الإشادة بالبصر حيث قال :
تزودت منه عيني نظرة عرضاً أصبحت وهي بقلبي لونة عجب^(٥)
وقال أيضاً :

علمت عينك عيني الهوى فأتا منك ومني في كمد^(٦)
وقال أيضاً :

ولم أر أفتك من مقتنيه على أن لي خبرة بالمقل^(٧)
وفي حديثهما عن العيون وإيهامنا بأنهما مبصران محاولة للتخفيف عما
يشعران به من ألم لفقدتهما نعمة البصر ولذا ينكران عاهتهما، فالإنسان عندما
يفقد شيئاً يحاول أن يشعر ما حوله أنه لا ينقصه شيء فينكر عاهته، ويحاول
أن يقنع نفسه أنه كالأخرين، ويصل إنكار العاهة بالتطيلي إلى أن يشكك في
مصادقية النظر حيث قال :

لا تغتر بعيون ينظرون بها فاتم هي أحداق وأجفان
فاتنر بعقلك إن العين كاذبة واسمع بحسك إن السمع خوان
ولا تقل كل ذي عين له نظر إن الرعاة ترى ما لا يرى الضان^(٨)

(٣) نفسه : ١٣/٢ .

(٤) نفسه : ٢٧٢/١ .

(٥) ديوان الأعشى التطيلي : ١٥، لونة : الحب اللازق بالقلب، لسان العرب، مادة لوط،

٣٩٦/٧ .

(٦) نفسه : ٣٩ .

(٧) نفسه : ١٣٠ .

(٨) نفسه : ٢١٨ .

فاستهان بالبصر، فالعيون لا تفيد أصحابها في شيء فما هي إلا أحداق وأجفان لا قيمة لها، وأن الأهمية في البصيرة ولذا يفخر بها .

ب - الاعتزاز والفخر بالبصيرة

الكفيف يعوض فقد بصره ببصيرته، فمن قويت بصيرته عوضته فقدته البصر، قال تعالى : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾^(٢) فعمى الأبصار لا يعتد به؛ لأنه لا يعد عمى بالنسبة لعمى القلوب^(٣)، فمن اتقنت بصيرته يكون مبصراً وإن كان أعمى، ومن ماتت بصيرته فهو أعمى وإن كان بصيراً، وفي هذا الصدد يقول الإمام الغزالي : "من لم تكن بصيرة عقله نافذة فلا تعلق به من الدين إلا قشوره بل خيالاته، دون لبابه وحقيقته"^(٤) وهذا تأكيد على أهمية البصيرة فمن فقد بصره تمكن من تعويضه ببصيرته النيرة، يقول بشار: إن فقدان بصره كان سبباً في قوة بصيرته .

عميت جنينا والنكاء من العمى فجئت عجيب الظن للعلم معقلا

وغاض ضياء العين للقلب فاغتنى بقلب إذا ما ضيغ الناس حصلا

وشعر كنوز الأرض لاعمّت بينه بقول إذا ما أحزن الشعر أسهلا^(٥)

الشاعر يقول إنه قد حرم نعمة عظيمة موجودة عند أغلب الناس وهي نعمة البصر، وهو يفقده هذه النعمة صار نكياً، وتمتع بأشياء عدة عوضته بصره، فامتلك خيالاً فذاً عجباً فقال : "عجيب الظن" ففقد البصر قوى عنده

(٢) سورة الحج من الآية : ٤٦ .

(٣) ينظر جامع البيان في تفسير القرآن لأبي جعفر الطبري، دار الجيل، بيروت، ب:ت : ١٠١/٩ .

(٤) ميزان العمل للإمام الغزالي، حققه وقدم له سليمان دنيا، دار المعارف، مصر : ط١، ١٩٦٤ ف: ٣٣٨ .

(٥) ديوان بشار بن برد : ١٥٨/٤ .

فكر وإبداع

الصورة الشعرية عند

بشار بن برد والأعشى التطيلي

ملكة الخيال فتمكن من الإتيان بصور خيالية لا تقوم على البصر، وإلى جانب خياله العجيب يتمتع بذاكرة قوية أعانته في تكوين صورته، وبذاكرته احتفظ بوصف الأقدمين وصورهم، فأتى بصور فاق فيها المبصرين، وإلى جانب ذاكرته القوية كان يمتلك موهبة شعرية تمكن بها من التعبير عما في نفسه . وليس هو وحده ممن يشيد بالبصيرة، فالتطيلي يفتخر ببصيرته وإنها أفضل من البصر قائلاً :

والنَّاسُ كالنَّاسِ إِلَّا أَنْ تَجْرِبَهُمْ وللْبَصِيرَةِ حُكْمٌ لَيْسَ لِلْبَصَرِ^(١)

فالبصيرة هي الأهم، وما البصر إلا مظهر شكلي فقط، لا يعني شيئاً إلى جانب البصيرة يقول :

وَلَا تَقُلْ كُلُّ ذِي عَيْنٍ لَهُ نَظَرٌ إِنَّ الرِّعَاةَ تَرَى مَا لَا تَرَى الضَّانُ^(٢)

وإنَّ النَّظَرَ الصَّحِيحَ يَكُونُ بِالْعَقْلِ وَلَيْسَ بِالْعَيْنِ كَمَا يَقُولُ التَّطِيلِيُّ :

انْظُرْ بِعَقْلِكَ إِنَّ الْعَيْنَ كَاذِبَةٌ واسْمَعْ بِحِسِّكَ إِنَّ السَّمْعَ خَوَّانٌ^(٣)

بشار أكثر ذكراً وإشادة بالبصيرة من التطيلي، ربما يكون ذلك بسبب سخرية الناس منه، فأراد أن يثبت لهم أنه لا يقل عنهم، فبصيرته عوضته بصره، ويذكر البصيرة بمعان عدة، من ذلك قوله :

فَقَالَ بَعْضُ الْحَدِيثِ يَشْفِقُنِي وَالْقَلْبُ رَاعٍ مَا لَا يَرَى الْبَصَرُ^(٤)

كما أنه يجعل القلب عوضاً عن البصر في الحب، فيقول :

وَمَا تَبْصُرُ الْعَيْنَانِ فِي مَوْضِعِ الْهُوَى وَلَا تَسْمَعُ الْأُذُنَانِ إِلَّا مِنَ الْقَلْبِ^(٥)

(١) ديوان الأعشى التطيلي : ٤٨ .

(٢) نفسه : ٢١٨ .

(٣) ديوان الأعشى التطيلي : ٢١٨ .

(٤) ديوان بشار بن برد : ٧٨/٤ .

(٥) نفسه : ١٨/٤ .

يريد أن يبين أنه لا يقل عن المبصرين إن كانوا يرون أن العين هي سبب العشق، فهو لا يقل عنهم في الإحساس بالحب والحياة دون أن يكون محتاجاً في ذلك للعين، لأن محل النظر الحقيقي في هذه المسائل القلب وليس العين، فهو موطن الهوى، ويكثر من ذلك في غزله ليجذب المرأة إليه وليبين لها أنه لا يقل عن المبصرين في شيء فقد البصر لا يعني فقد الإحساس بالحياة، فالحب في القلب، والقلب موطن العشق وهذا سليم عنده فلا فرق بينه وبين المبصرين في مسائل العشق والغرام فالعين لا دخل لها، قائلاً:

أتى ولم ترها تصبو فقلت لهم : إن الفؤاد يرى ما لا يرى البصر^(١)
وقال أيضاً :

فقلت دعوا قلبي وما أختار وارضى فبالقلب لا بالعين يبصر نو اللب^(٢)

ج - التبرير

هو التعليل الذي يمنحه المرء لنفسه، ويقدمه لسواه لتوضيح سلوكه ومواقفه، والتبرير ليس معناه أن تكون تصرفات الفرد معقولة، ولكن معناه أن نبرر سلوكنا حتى يبدو في نظرنا معقولاً، وهذا السلوك التقاعى يجنب صاحبه الاعتراف بما يدفعه لسلوكه غير المعقول، كما يعتمد إلى تفسير سلوكه تفسيراً يبين به لنفسه وللناس أن سلوكه معقول لا غبار عليه، وإن ما دفعه إليه ليس أكثر من دوافع مقبولة يحترمها الناس^(٣)، ويأخذ التبرير صوراً متعددة منها التعلل بالقدر ولوم السبب الذي يكون مانعاً من تحقيق ما يريد، ويكون الهدف من هذا إقناع الشخص نفسه بأنه على صواب .

والتطليي يلقي اللوم على العاهة في عدم الوصول إلى ما يريد قائلاً:

(١) نفسه : ١٤٥/٣ .

(٢) نفسه : ١٧/٤ .

(٣) ينظر الدوافع النفسية، مصطفى فهمي، دار مصر للطباعة، ب.ت : ١٣٧، ١٣٨ .

على أني أنادي من بعيد ولم أحم اللقاء ولا الوصول
ولكن الزمانة قصرت بي وأجلّى الغر ما رزق القبول^(٤)

فجاءت صورته تحمل التبرير والعذر، فهو لم يتمكن من الوصول ليقوم بواجب الممدوح من استقبال وترحيب كالمبصرين، ويجد لنفسه العذر في ذلك، فالعاهة كانت السبب في عدم مثوله بين يدي الممدوح، وحين يلجأ الأعشى للتبرير الذي يعتبره نوعاً من الدفاع عن الذات، يضع على الرف أسباب كل فشل اجتماعي، أحياناً يضع تبريراً لعماء في المقدمة ليبرر بعد ذلك تصرفاته وكل ما يصدر منه، فبشار يبرر نماعة شكله، وعدم قدرته على تذوق الجمال الذي حوله سواء أكان في الأشكال أم الأفعال، ليصعد ويتسامى بقصوره وعجزه نحو آفاق أسمى من الجمال، مجرداً الأشياء من جمالها المرئي حيث قال:

قالوا الأعشى منظر قبيح قلنا بفقدى لكم يهون
تالله ما في الوجود شيء تأسنى على فقده العيون^(١)

يصرح بعاهته، ويبرر ما وصف به محاولاً بذلك التخفيف عن نفسه فجعل عدم رؤيته لهم تهوينا وتخفيفاً لمصيبته، فيبرر عماءه، وفي الحقيقة يتألم أشد الألم الذي يمكن أن نلاحظه في البيت الثاني إذ أقسم على أنه ليس هناك شيء جميل تحزن العين لعدم رؤيته، فألغى كل شيء جميل يمكن أن تتركه العين، فهي لا تترك الأشياء المهمة المؤثرة في النفس، التي تتركها البصيرة، فالأعشى الحقيقي من عميت بصيرته وفقد البصر ليس عيباً ونقصاً من قدر

(٤) ديوان الأعشى التطيلي : ٩٩، والزمانة : العاهة، لسان العرب، مادة زمن : ٩٩/١٣ .

(١) ديوان بشار بن برد : ٢٣٤/٤ ، ٢٣٥ .

فأفاده، فمن تمتع ببصيرة نافذة وفقد بصره أفضل ممن فقد بصيرته وله نظر وفي ذلك قال بشار:

وَعَيَّرَتِي الْأَعْدَاءُ وَالْعَيْبُ فِيهِمْ وليس بعار أن يقال ضرير
إذا أبصر المرء المروءة والتقى فإن عمى العينين ليس يضير
رأيت العمى أجراً وذخراً وعصمةً وإني إلى تلك الثلاث فقير^(٢)

يبرر عماه بقوله إن أبصر المرء المروءة والتقى فإن عمى العينين لا يضره، إذ العمى يعده أجراً وذخراً وعصمة، وهو سعيد لعماه أملاً في تحقيق هذه الأشياء التي يتمناها، وكثرة التبرير يدل على شعور صاحبه بالنقص، ومن تبريرات بشار أنه يرى في العمى خيراً وفائدة له، إذ به زاد زكاؤه وزادت قدراته العقلية التي ما كانت لتحصل وتتحقق لولا عماه قال :

عُميت جنيناً والذكاء من العمى فجئت عجيب الظن للعلم معقلاً
وغاض ضياء العين للقيب فاغتنى بقلب إذا ما ضيع الناس حصلاً^(١)
بشار متألم ومتحسر لحالته ويحاول التخفيف عن نفسه بتعزيتها على أن العمى يولد الذكاء وبذلك يستطيع أن يتميز على غيره ويثبت ذاته في تصميم وعناد، والسعي لإثبات الذات في تصميم وعناد لا يقتصر على بشار "قأبو العلاء قد صمم أن يتحدى محنته، وأن يشق سبيله مع الأحياء لا يعوقه فقد البصر"^(٢)، فالمكفوف يتألم ويحزن، وتتأثر نفسيته، فيسعى للتخفيف عما يشعر به من ألم وحزن عند فقدان البصر .
د - رثاء النفس :

(٢) نفسه : ٦٥/٤ .

(١) نفسه : ١٥٨/٤ .

(٢) أبو العلاء المعري، عائشة عبد الرحمن، بنت الشاطئ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ب: ٤١ .

الصورة الشعرية عند بشار بن برد والأعشى التطيلي

فكر وإبداع

إنَّ إنكار العاهة، والتبرير لها ردود فعل طبيعية تحدث نتيجة المكابرة، ومحاولة التخفيف عن النفس، فالعاهة تولد في نفس صاحبها الحزن والأسى، ولذا يتجه المكفوف إلى رثاء ذاته لفقده أهم شيء يساعده على إدراك الجمال، وفهم الكون من حوله، ومن ذلك رثاء بشار نفسه وحسرته عليها حين لا يستطيع أن يدرك ما يفعله المبصرون من حوله حيث قال :

وإتني في الصلاة أحضرها	ضُحْكَةُ أَهْلِ الصَّلَاةِ إِن شَهِدُوا
أَقْعُدُ فِي سَجْدَةٍ إِذَا رَكَعُوا	وَأَرْفَعُ الرَّأْسَ إِن هُمْ سَجَدُوا
أَسْجُدُ وَالْقَوْمَ رَاكِعُونَ مَعَا	وَأُسْرِعُ الْوُثْبَ إِن هُمْ قَعَدُوا
وَلَسْتُ أَدْرِي إِذَا إِمَامُهُمْ	سَلَّمَ كَمْ كَانَ ذَلِكَ الْعَدَدُ ^(٣)

أعطى صورة مؤلمة لحالته إذ لا يستطيع أن يجاري المبصرين في بعض أفعالهم كالصلاة، فعندما يريد أن يصلي جماعة يشعر أنه محط ضحك وسخرية من الآخرين إذ لا يدرك حركات وأفعال المصلين من حوله فيسجد حال ركوعهم ويرفع الرأس حال سجودهم، فسمعه لم يخدمه بما فيه الكفاية وخاصة إذا كانت الصلاة سرية، فلا يسمع إلا التكبير دون أن يدرك أفعال المصلين، فتألم نفسه، وعندما يسلم الإمام لا يدرك كم ركعة صلوا فيتحسر لحاله، وقال أيضاً :

أَلَا حَيُّ ذَا الْبَيْتِ الَّذِي لَسْتُ نَاطِرًا إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا بَكَيْتُ إِلَى صَحْبِي
أَزُورُ سِوَاهُ وَالْهَوَىٰ عِنْدَ أَهْلِهِ إِذَا مَا اسْتَخَفَّتَنِي تَبَارِيحُ مِنْ حُبِّي^(١)

عدم التمكن من رؤية المحبوب شيء محزن، وبشار يصور لنا حالته حين يتمنى رؤية وجه محبوبته وهناك شيء أقوى منه يمنع من ذلك ألا

(٣) ديوان بشار بن برد : ٥٦/٤ ، ٥٧ .

(١) نفسه : ٢١٤/١ ، وتباريح : توهج ، لسان العرب ، مادة برح : ٤١٠/٢ .

وهو (العمى) لذا يحزن ويبيكي ويرثي نفسه، فبالرغم من قوله إن حواسه السليمة تكفيه في مسائل العشق والغرام، فالبصر لا بد منه لرؤية وجه الحبيب:

تفرح العين أن ترى عبد قيس وأسعدا
حُرمة الظَّاعِنِ الذي كان جِراً فَأَصْنَعَا^(٢)

فلو رأى المحبوبة لكان سعيداً غاية السعادة، إلا أن سعادته لن تتحقق برؤية من يحب فرؤيتها مُحَرمة عليه، ولذا يحزن ويتألم لعدم تمكنه من ذلك، ومن صور رثاء الذات عند بشار تصوير حالته محتاراً يحتاج لمن يقوده قال:

والشَّمْسُ في كَبَدِ السَّمَاءِ كَأَنَّهَا
أَعْمَى تَحَيَّرَ مَا لَدَيْهِ قَائِدُ^(٣)

قد يعتمد الأعمى على نفسه ويعرف الطريق الذي يعتاده ولكنه أحياناً يقف محتاراً لا يعرف أين يذهب وخاصة إذا كان المكان لم يعتده من قبل، ولو كان مبصراً لما احتاج لهادٍ ولا وقف محتاراً، وبشار يعيش هذه الحالة فشبه طول النهار بثبات الشمس في مكانها كحال الأعمى الذي لا يجد له، فالصورة جاءت حزينه ناقله بدقة إحساس الأعمى وهو متحير لا يدل الطريق بنفسه ومحتاج لقائد، وقال التطيلي في رثاء ذاته :

أما اشتقت مني الأيام في وطني حتى تضايق فيما عن من وطر^(١)
ولا قضت من سواد العين حاجتها حتى تكرُّ على ما كان في الشعر^(٢)

(٢) نفسه: ١٥١/٢ .

(٣) نفسه: ٤٩/٤ .

(١) وطر: كل حاجة كان صاحبها فيها همة، لسان العرب، مادة وطر: ٢٨٥/٥ .

(٢) ديوان الأعمى التطيلي: ٤٩ .

يتحسر على ما أصابه، ويلقي بلومه على الأيام منكراً ما حلَّ به من
غربة وعمى وشيب، ويجد في لومه الأيام تخفيفاً عن نفسه ورثاء لها .

عَتَابٌ عَلَى الدُّنْيَا وَقَلَّ عِتَابُ رَضِينَا بِمَا تَرْضَى وَنَحْنُ غَضَابُ
وَقَالَتْ وَأَصْغِينَا إِلَى زُورِ قَوْلِهَا وَقَدْ يَسْتَفْزِ الْقَوْلُ وَهُوَ كَذَابُ
وِغَطَّتْ عَلَى أَبْصَارِنَا وَقُلُوبِنَا فَطَالَ عَلَيْهَا الْحَوْمُ وَهِيَ سَرَابُ^(٣)

بالرغم من تقبل التطيلي لحالته، فالحزن والألم لم يعتصران قلبه، ويلقي
بلومه على الدنيا وما حلَّ به من حزن وألم، وقد كان يأمل أن يزول حزنه
بزوال سببه فقال (غطت على أبصارنا وقلوبنا) فقد غطت على البصر
بالعمى، وعلى القلب بالحزن والألم لفقده البصر، وقد استعمل الفعل "غطي"
لإمكانية إزالة الغطاء، ولكن ما كان يأمله لم يتحقق فالغطاء قد طال مما زاد
من عذابه وألمه، والأعمى في رثاء ذاته يكثر من البكاء على حالته .

فَقُلْنَ بِكَيْتَ قُلْتَ لَهْنٌ كَلَا وَقَدْ يَبْكِي مِنَ الشَّوْقِ الْجَلِيدِ
وَلَكِنِّي أَصَابُ سَوَادَ عَيْنِي عَوِيذُ قَذَى لَهُ طَرَفٌ حَدِيدِ
فَقُلْنَ فَمَا لَدِمْعِهَا سِوَاءُ أَكَلْنَا مُقَلَّتِيكَ أَصَابَ عَوْدُ^(٤)

بنى بشار صورته على الحوار إذ وجد فيه متنفساً للتخفيف عن حزنه،
فتخيل أن هناك نسوة قد شهدن على بكائه وحزنه فرفقن لحاله وأخذن
يتحاورن معه للتخفيف عنه ومعرفة سبب البكاء الذي كان سببه العمى الذي
شبهه بالقذى وجعله قوياً فطرفه من حديد ليكون ألمه أشد وبقاؤه أطول .

وقال التطيلي :

وَلِي مَقَلَّةٌ أَفْضَتْ بِهَا لِحَظَاتِهَا إِلَى عِبْرَاتِ جَمَّةٍ وَكَرَى نَزْرٍ^(١)

(٣) نفسه : ٨ .

(٤) ديوان بشار بن برد : ٥١/٤ .

(١) نزر : قليل، لسان العرب، مادة نزر : ٢٠٣/٥ .

وكان حراماً أن تجود بدمعة وقد تركتها الحادثات بلا شفر
ولكن حداها الحزن فاستوسقت به وأكبر ما يُعْطَى البخيل على قسر^(٢)
فعين الشعر دائمة البكاء قليلة النوم، وكان لابد لها من الراحة بعد أن
ذهب نورها، ولكن أنى لها ذلك فالعمى هو سبب البكاء والحزن .
وقال أيضاً :

سَلْ نَمْعِي الْمَبْذُولَ هَلْ مِنْ حِيلَةٍ لِي أَوَّلُهُ فِي نَوْمِي الْمَمْنُوعِ^(٣)
يرaud الشاعر أمل في الشفاء، بالرغم من حزنه فالأمل يخالجه دائماً، فقد
يكون في كثرة البكاء جلاء للعين وشفاء لها مما أصابها .
حيث قال :

خَلِيلِيْ هَلْ فِي أَدْمَعِيْ وَانْحِدَارِهَا جَلَاءٌ لِعَيْنِ نَمْعُهَا مَتَمَّاسِكِ^(٤)
يستفهم الشاعر في حيرة يلفها الأمل، فدمعه دائم الانحدار لحزنه على
فقد البصر ولكن قد يكون في بكائه شفاء لعيّنه من العمى وهذا ما يتمناه
ويصور التطيلي كثرة بكائه وعدم انقطاعه بالشيء المتماسك الذي يشد بعضه
بعضاً خوفاً من التفكك، وقال أيضاً :

لَا تَحْسِبُوا أَدْمَعِيْ مَاءَ تَجُودَ بِهِ عَيْنِيْ وَلَكِنَّهُ مِنْ لَوْعَتِيْ شَرٍّ^(٥)
قد رسم التطيلي صورة لذلك الدمع المنحدر، فنفسه متقدة من شدة الألم
والحزن وما دمعه إلا شر من تلك النار المتقدة .
ولم يقتصر رثاء التطيلي لذاته على البكاء بل وجد في الضحك تخفيفاً عن
حزنه وألمه، وهذا ما أكدّه المختصون على أنّ الضحك والبكاء مظهران

(٢) ديوان الأعمى التطيلي : ٧٢، واستوسق : اجتمع، لسان العرب، مادة-وسق : ٣٨٠/١٠ .

(٣) نفسه : ٨٠ .

(٤) نفسه : ٩٠ .

(٥) نفسه : ٦٥ .

لباعث واحد ألا وهو الرفض والاحتجاج، فالبكاء يتحول إلى ضحك حين يعظم^(١)، وقد وجد التطيلي في الضحك متنفساً لما يشعر به قال :

وكيف تضاحك هذى الرياضُ وكيف يصوبُ الغمام الحصى
وهيهات لم يعتمد أن يجود ولكن لما نحن فيه بكى
وماذا بجمص من المضحكات ولكنه ضحك كالبكاء^(٢)

فنفس الشاعر حزينة، وما الضحك الذي يصدر عنه إلا نتيجة حزنه وألمه . ويكثر بشار من تشبيه عماء بالرمد والقذى اللذان يمكن الشفاء منهما، بالرغم من علمه أن عماء دائم، ولكن هذا يعد نوعاً من التخفيف عن النفس . أبیت أرمد ما لم أكتحل بكم وفي اكتحالي بكم شاف من الرمد^(٣)
صور عماء بالرمد آملاً في ذلك بالشفاء وعودة البصر، وهذا الأمل جعله يكثر من تشبيه عماء بالرمد حيث قال :

فاخلي له يحل برويتكم عينا تغاها بكم رمد^(٤)
وقال أيضاً :

أرمد من نأياها ولو قربت يوما شفت عيئة من الرمد^(٥)

فالأمل الذي يظهره بشار في تشبيه عماء بالرمد نوعاً من التخفيف عن نفسه، فهو في قرارة نفسه متأكد من حقيقة عماء ففع البيت السابق قد قرن رمد عينيه ببعد المحبوبة واستعمل حرف الشرط "لو" الذي يفيد الامتناع^(٦)، فعينه لن تشفي من الرمد لأن المحبوبة لن تقترب، وقال أيضاً :

(١) ينظر شعر المكفوفين : ٢١٤ .

(٢) ديوان الأعشى التطيلي : ١ .

(٣) ديوان بشار بن برد : ٢٢١/٢ .

(٤) نفسه : ٦٥/٣ .

(٥) نفسه : ١٣٣/٣ .

(٦) ينظر النحو الوافي : ٤٩١/٤ ، ٤٩٢ .

وتريك عيني جؤذر خرق صدر الكمي إذا ما عمه الرمد^(١)
الرمد متعب للعين ومؤلم لها، والشاعر يعاني منه حيث إنه يشبه عماء
بالرمد، ولذا لا يريد لمن يحب أن يعاني نفس معاناته ولذا في غزله لا يحب
لمحبيبته أن تتألم أو تتعب، وقال أيضاً :

في كل معترك ضنك يضيق به صدر الكمي إذا ما عمه الرمد^(٢)
وقال التطيلي :

ويا كحل لجفاتي وإن غلب الكرى عليها وقد تقذى الجفون من الكحل^(٣)
يصور التطيلي عماء بالنوم، فالنائم لا يرى ما حوله كذلك الأعمى، وقد
جعل رؤية من يحب كحل أجفانه، والكحل في العادة يستعمل للزينة والعلاج،
وخصه التطيلي للعلاج، وكرره مرتين في بيت واحد وذلك لما يشعر به من
ألم . فحياته مظلمة كلون الكحل، ويظهر في الشطر الثاني من البيت ألمه
لعماء إذ إنه جعل الكحل علاجاً في الشطر الأول عندما قصده كمادة، وفي
الشطر الثاني عندما قصد لونه جعله مؤلماً ومتعباً للجفون، فقد ربطه بالعمى
إذ إن الأعمى حياته مظلمة .

وبشار قد جعل رؤية من يحب شفاء له من القذى والرمد قال :

فاكحل بعدة مقتلتيك من القذى وبوشك رؤيتها من الهملان^(٤)
صور بشار عماء بالرمد، وجعل شفاؤه مقترناً برؤية من يحب فرويته
تتفع البصر كنفع الكحل للعين ولكنه لن يتمكن من رؤية من يحب ولذا لن
يشفى من عماء، وقال أيضاً :

(١) ديوان بشار بن برد : ٣٠/٣، والجؤذر : ولد البقرة، وفي الصحاح البقرة الوحشية، لسان
العرب مادة جذر : ١٢٢/٤ .

(٢) ديوان بشار بن برد : ٢٠٢/٢، والضانك : الضيق، لسان العرب، مادة ضنك : ٤٦٢/١٠ .

(٣) ديوان الأعمى التطيلي : ١٢٣ .

(٤) ديوان بشار بن برد : ٢٢٦/٤ .

أنت التي تشتفي عيني برويتها وَهْنٌ عندي كماء غير مشروب^(٥)
وجد بشار في قرن الداء بالدواء تخفيفاً له مما يحس به من ألم وتعب ولذا
أكثر منه في شعره ومن ذلك قوله :

إِنْ فِي عَيْنِهَا دَوَاءٌ وَدَاءٌ لِمَيْمٍ وَالدَّاءُ قَبْلَ الدَّوَاءِ^(١)
وقال أيضاً :-

ودواء عيني قد علمت ودأوها رِيَا الْبَنَانِ كُدُمِيَّةَ الْمِحْرَابِ^(٢)
وفي نكر الداء والدواء سعى للتخفيف عن نفسه إذ يمنيها بالأمل مع يقينه
بأن عماء لا علاج منه .

هـ - السخرية والتهكم :

السخرية قديمة قدم الإنسان، فقد تكون ترويحاً عن النفس أو تسرية عن
القلب، أو استكثاراً لما يقع^(٣)، وقد ارتبطت السخرية بمنطق الدقاع والنقد عند
بشار والتطيلي، فبشار عاش في مجتمع لا يرحم المعوقين أو العاجزين، فكان
هدفاً لسهام التهكم الجارحة فعمد بدوره إلى هذا السلاح مدافعاً به عن ذاته
وأبدع، فعند شعور الشخص أنه محط سخرية واحتقار من مجتمعه يتجه إلى
الكفاح، يؤدي في أغلب الأحيان إلى ابتكارات مهمة يلجأ إليها الشخص ليفر
نفسه على المجتمع الذي يحتقره^(٤)، فالواقع الاجتماعي له دور كبير في الدفع
إلى الإبداع^(٥)، وبشار قد وجد في السخرية والفكاهة مجالاً يشتفي بوساطته

(٥) نفسه : ٢٢٣/١ .

(١) نفسه : ١٣٢/١ .

(٢) نفسه : ٢٤٢/١ .

(٣) ينظر السخرية في أدب الجاحظ : ٦٤ .

(٤) ينظر الاطمئنان النفسي، أبو مدين الشافعي، دار الفكر للطبع والنشر والتوزيع، ب.ت :

٤١ .

(٥) ينظر الأسس النفسية للإبداع الفني - في الشعر خاصة، مصطفى سويف، دار المعارف،
مصر، ط ٢، ١٩٥٩ ف: ٨٧ .

من الجنس البشري، وتمكن من ذلك بفضل روحه المرححة المتهكمة وقدرته الشعرية الكبيرة، وتحلله من قيود الدين وإحكامه^(١)، فقد وجد في سخريته وتهكمه متعة وراحة إذ إن أحد أسباب ودوافع السخرية والفكاهة هو عنصر الارتياح والسرور "ففي المواقف الفكاهية على اختلاف أنواعها لهُوَ يبعد الإنسان عن الحياة الواقعية الجادة"^(٢) وتختلف بواعث السخرية وغاياتها عند الأشخاص والجماعات، ولكن العامل المشترك الذي يوحدها وجود الانحرافات الفردية والاجتماعية، ويبرر بشار سخريته وهجاءه بقوله :

وقوم ينظرون إليّ شَزْراً كأن كلَّوْمَهُم مني دوام^(٣)
سيجدي حِلْمُهُم أو يتكروني فإن تقدّمي قبل انتقامي^(٤)

يعاني بشار من سخرية الناس وتهكمهم ولكنه ما زال حليماً معهم، وإن لم يفد ذلك سيسلك معهم مسلكاً آخر ينتقم به منهم، فما صبره وحلمه عليهم إلا إنذار لهم، وإن لم يفد ذلك سيهجوهم، وما هجاؤه لهم وسخريته منهم إلا انتقام لنفسه عما يصدر منهم نحوه، وفي نفس الوقت يثبت ذاته، فللبشر في مواجهة مواقف الحياة أساليب عدّة فمنهم من يواجهها بالعنف والقسوة، والتهكم من طبيعة المتعلم المتأدّب الذي يتمكن بسخريته وتهكمه من حلّ مشكلاته وقتل خصمه، وهو مطمئن النفس مستريح البال ويستطيع الساخر أن "يستعلي على الحوادث بالسخرية منها مؤكداً لذاته وللآخرين أنه ليس ضعيفاً كما يرون؛

(١) ينظر الفكاهة والضحك في التراث العربي المشرقي من العصر الجاهلي إلى نهاية العصر العباسي، رياض قزحجة، قدم له وراجعها ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ط ١، ١٩٩٨ ف: ٣٤٥.

(٢) الفكاهة في الأدب الأنثليسي، رياض قزحجة، المكتبة العصرية، بيروت، ط ١، ١٩٩٨ ف: ٨٩.

(٣) الشزر : نظر الغضببان بمؤخرة العين، لسان العرب، مادة شزر : ٤٠٤/٤.

(٤) ديوان بشار بن برد : ٢٠٧/٤.

لأنَّ السَّخْرِيَّةَ تَبْعَتْ فِي نَفْسِ السَّاخِرِ شَعُوراً بِالتَّفُوقِ وَالِانْتِصَارِ وَالِاسْتِعْلَاءِ^(٤) والسَّخْرِيَّةُ لَا تَحْمِلُ عَلَى الْكَرَاهِيَةِ وَالْبَغْضِ كَمَا يَحْدُثُ عَنِ الْهَجَاءِ الَّذِي ارْتَبَطَ بِالطَّعْنِ وَالتَّشْهِيرِ، وَنَجَمَ عَنْهُ الْحَقْدُ وَالْبَغْضُ، وَلِارْتِبَاطِ الْهَجَاءِ بِتِلْكَ الْمَعَانِي الْبَغِيضَةِ لَمْ يَسْتَخْدِمِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ قَطُّ وَإِنَّمَا ذَكَرَ السَّخْرِيَّةَ وَمَا يَشْتَقُّ عَنْهَا عِدَّةَ مَرَّاتٍ^(٥)، وَرَبَّمَا هَدَفَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مِنْ هَذَا إِزَالَةَ الْعَدَوَانِيَّةِ وَالْحَقْدِ وَالْكَرَاهِيَةِ الَّتِي حَمَلَتْهَا عِبَارَةُ الْهَجَاءِ، فَالْإِسْلَامُ نَهَى عَنْ هَذِهِ الْأَعْرَاضِ وَالسَّخْرِيَّةِ الْجَارِحَةِ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْخَرَنَّ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ﴾^(٦)، وَالْهَجَاءُ لَا يَدُورُ إِلَّا بِسَمُوِّ نَحْوِ الْعَفَةِ اللَّفْظِيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ، فَالْتَسَامِي بِالْهَجَاءِ وَرَبَطَهُ بِسَخْرِيَّةِ الدِّفَاعِ يَعُودُ لِلْمَنْهَجِ الْأَخْلَاقِيِّ الَّذِي اسْتَنَتْهُ الْإِسْلَامُ لِلأَدَبِ وَالشَّعْرِ خَاصَّةً، وَبِشَارٍ لَمْ يَرَاعَ مَا نَصَّ عَلَيْهِ الْإِسْلَامُ فَجَاءَتْ سَخْرِيَّتُهُ جَارِحَةً، وَهَجَاؤُهُ عَنِيفاً هَاتِكاً لِلأَعْرَاضِ فَلَمْ يَرُدِّعْهُ دِينٌ وَلَا أَخْلَاقٌ، فَلِسَانُهُ وَسِيلَتُهُ لِلدِّفَاعِ عَنْ ذَاتِهِ، وَالْأَعْمَى عَامَةً يَجِدُ لِسَانَهُ وَفَصَاحَتَهُ فِي إِثْبَاتِ ذَاتِهِ أَقْوَىٰ مَا يَمْتَلِكُهُ لِلدِّفَاعِ عَنْ نَفْسِهِ وَدِرِّءِ الْأَخْطَارِ الَّتِي يَحْسُ بِهَا، وَبِشَارٍ بِسَخْرِيَّتِهِ وَهَجَائِهِ وَهَزْلِهِ قَدْ قَدَّمَ مَادَّةً أَدَبِيَّةً أَغْنَتْ الْهَزْلَ وَالسَّخْرِيَّةَ فِي الْأَدَبِ، وَتَبَيَّنَتْ وَجُودُهُمَا، وَشَعْرُ بِشَارٍ يَتَضَمَّنُ الْمَرَحَ وَالْهَزْلَ وَقَدْ شَهِدَ لَهُ الْأَصْمَعِيُّ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ: "إِنَّ بِشَاراً يَصْلُحُ لِلْجَدِّ وَالْهَزْلِ"^(٧) وَمِنْ أُمْتَلَتْهُ نَوَادِرُهُ وَهَزْلُهُ الشَّعْرِي أَنَّهُ اخْتَارَ مَوْضُوعاً جَاداً أَلَا وَهُوَ الْعَشَقُ الْعَذْرِيُّ الَّذِي كَانَ يَفْضِي بِأَصْحَابِهِ - كَمَا يَرُودُ - إِلَى

(٤) المعري في فكره وسخريته، عدنان عبيد العلي، دار أسامة، عمان الأردن، ط ١، ١٩٩٩، ف: ٢٥٤.

(٥) قد وردت لفظة السخريّة ومشتقاتها في العديد من السور القرآنية منها: سورة التوبة: آية ٧٩، وسورة الأنعام، آية ١٠، وسورة هود آية: ٣٨، وسورة الأنبياء، آية: ٤١.

(٦) سورة الحجرات من الآية: ١١.

(٧) الأغاني: ٩٩٥/٣.

الجنون أو الموت وأجراه على لسان حمار له أحبّ ومات عشقاً^(٢)، والشاعر الأعمى له جس مرهف، وظن سيء في تقويم معاملته الاجتماعية، وهذا في الغالب، ويعتقد الأعمى أنّ عالم المبصرين عالم تضليل، وخداع؛ لأنّ الإبصار يوفر للمبصرين إمكانات هذا التضليل وأدواته، مما لا طاقة له عليه ولذا يشك في هذا العالم، ويحمل على المبصرين كراهية واستهانة ويظهر ذلك من خلال سخريته واستخفافه بهم فالتطيلي يسخر من المبصرين وبما يتباهون به من عيون حيث قال :

لا تَقْتَرِ بعيون ينظرون بهــــا فإتــــما هي أحداق وأجفان^(٣)
وبشّار يشك في النّاس ويحذر من المجتمع قائلاً :

أشك في النّاس ما قالت وما صنعت ولا أشك بسقم داخل بار^(٤)
والتطيلي يشكك في الحواس وقدرتها على إيصال المعارف قال :

فاتظر بعقلك إنّ العين كاذبة واسمع بحسك إنّ السّمع خوان^(٥)

ربما قاد هذا الشك والترقب الشاعر الأعمى لتحين فرص الانتقام والسخرية من المبصرين، فقد سخر بشّار من مبصر حين سأله عن بيت جاره فأخذ بشّار بيده ليدله على مكان الدّار واستغل هذه الفرصة ليسخر ويفرغ ما في صدره من سخرية ونقمة على العالم المبصر قال :

أعمى يقود بصيراً لا أبا لكم قد ضلّ من كانت العميان تهديه^(٦)

ففي سخريته من المبصرين سعى لإثبات ذاته والتفّاع عنها، فالعمى الحقيقي عمى البصيرة لا البصر، ومن سخرية التطيلي بالمبصرين قوله :

(٢) ينظر الأبيات ديوان بشّار بن برد : ٢٣٦/٤ .

(٣) ديوان الأعمى التطيلي : ٢١٨ .

(٤) ديوان بشّار بن برد : ١٤٨/٣ .

(٥) ديوان الأعمى التطيلي : ٢١٨ .

(٦) ديوان بشّار بن برد : ٢٥٤/٤ .

فكر وإبداع

الصورة الشعرية عند

بشار بن برد والأعشى التطيلي

ولا تقل كل ذي عين له نظر إن الرعاة ترى ما لا يرى الضان^(٢)
وبشار في سخريته وهجائه يسعى للنيل ممن يهجو ففقده البصر قد ولد
عنده إحساساً مرهفاً وعنيفاً أدى به إلى كراهية الناس، وكل من يحيط به،
ويبرز ذلك من خلال بعض قصائده ومن ذلك قوله :

وشتمت ربك في العشيرة قائماً لتكون موجوداً وليتك توجد^(٣)

يسخر من مهجوه ويقول لقد هجوتني ليتحدث الناس عنك وتعرف بينهم
ولكن هذا لن يرفع من قدرك فأنت وضع ولا وجود لك بينهم . ومن القضايا
التي وجد فيها بشار مادة غنية لسخريته وهجائه قضية البخل، فاتجه يرمي
مهجوه بالبخل حيث قال :

يأيها الراكب الغادي لطيته لا تطلب الخبز بن الكلب والحوث
دينار آل سليمان ودرهمهم كالبابليين حفاً بالعفاريات
لا يوجدان ولا يرجى لقاءهما كما سمعت بهاروت وماروت^(٤)
يرسم بشار صورة ساخرة لبخل آل سليمان، فهم لا يجودون بلقمة فنههم
شديد يفوق نهم الكلب والحوث، وأموالهم لا توهب ولا ينفقون منها شيئاً فلا
يراها أحد، وكأنها قد حُفَّت بالعفاريات .

وقال أيضاً :

خليلي من كعب أعيناً أخاكماً على دهره إن الكريم معين
ولا تبخلأ بخل ابن قرعة إنه مخافة أن يرجى نداء حزين
كأن عبيد الله لم يلق ماجداً ولم يدر أن المكرمات تكون^(٥)

(٢) ديوان الأعشى التطيلي : ٢١٨ .

(٣) ديوان بشار بن برد : ٢٢٤/٢ .

(٤) نفسه : ٤٢/٢ .

(٥) ديوان بشار بن برد : ٢٣٣/٤ .

من شدة بخل ابن قزعة حزين كئيب مخافة أن يسأله أحد السؤال، ومن شدة بخله يخشى الكرم ولا يعرفه، وكأنه لم ير كريماً ولم يدر أن العطايا تكون بين الناس . ومن صورهِ الدقِيقَة في ذم البخل والسَّخْريَة من البخيل قوله :

على وجه معروف الكريم بشاشة وليس لمعروف البخيل بهاء
كان الذي تأتيك من راحتيهما عروس عليها الدرُّ والنفساء^(٢)

فالعطية قد تكون واحدة ولكن الفرق في كفيتهما، فالكريم عند عطائه يكون بشوشاً مهلاً بالسائل، بينما البخيل عندما يعطي يكون مرغماً على العطاء، وصورهما بصورة دقيقة وكأنه يشاهدهما، إذ صور عطايا الكريم كالعروس في حسنهما وبهائهما، وعطايا البخيل كالنفساء في شحوبها، وقد يكون بشار أدرك بشاشة الكريم وشحوب البخيل من خلال إدراكه صوتهما، وشبههما بالعروس والنفساء، إذ كان يرى حسن العروس وشحوب النفساء بأعين الآخرين .

وبشار في هجائه ينتقم ممن يبغض ولو كانوا أصحابه حين قال فيهم :
كثر الحمير قد أرى في صحبتي منهن أقمر متعجاً بالراكب
وإذا تمرغ عذ أفا كاملاً يدع المراغة مثل أمس الذاهب
ولقد مشيت عن الحمار تكرباً والمشي أكرم من ركوب الصالح^(٣)

فبشار قد ضاق بأصحابه فاتجه إلى هجائهم والسَّخْريَة منهم فشبههم بالحمير، فلم يسلم منه أحد حتى أصحابه، وهذا يدل على مدى اضطراب نفسيته وخوفه ممن حوله، فالحالة النفسية لها بالغ الأثر في بناء الصورة،

(٢) نفسه : ١٥١/١ .

(٣) نفسه : ٣٨٧/١ .

فكر وإبداع

الصورة الشعرية عند

بشار بن برد والأعشى التطيلي

فالشاعران وجدا في إنكار العاهة وتبرير مواقفهما ورثاء ذاتهما مجالاً للتخفيف عن آلامهما، كما وجدا في السخرية حماية نفسية واجتماعية، وسلاحاً قوياً لرد الاعتداء عليهما، وحققت لهما قوة معنوية لإثبات الذات ومواجهة الشعور بالنقص .

ومما شغل الشاعر المكفوف الزمن وذلك لغياب مظاهر هذا الزمن عنه فتأثر بذلك أشد التأثير .

و - عقدة الزمن عند الكفيف :

معرفة الكفيف بالزمن محفوفة بالجهل إذ إنه لا يستطيع أن يميز بين الأوقات، فالوقت يسير على وتيرة واحدة وهذا شيء يقلق الأعشى فهو غير مدرك لدجه ولذا فالزمن يحمل في طياته الخوف والفرع وعدم الأمان، قال التطيلي :

لا تركننَّ إلى الزمان وصرفه فتكَّ الزمانُ بآمنٍ ومَرُوع^(١)

فلا يثق في الزمان وما يمكن أن يأتي به، وكأنَّ الغدر سمة من سماته،

قال التطيلي :

تماسك قليلاً لست أوَّلَ مُبتلى ببين حبيب أو بغدر زمان^(٢)

فالزمان ذو انقلاب وتغير على رأي بشار حيث قال :

فاتقلبتُ والدهر ذو انقلاب ما أقرب العامر من خراب^(٣)

وقال أيضاً :

قد لعب الدهر على هامتي وذقتُ مرّاً بعد حلواء^(٤)

(١) ديوان الأعشى التطيلي : ٨٠ .

(٢) نفسه : ٢٣١ .

(٣) ديوان بشار بن برد : ١٦٤/١ .

(٤) نفسه : ١٥٤/١ .

ويصفه بالخيانة حيث قال :

وأنت الهمام المستجار من الردى مِرَارًا ومن دهر طغى وتمردا^(٥)
وقال أيضاً :

وكُنَّا إِذَا مَا خَانَنَا الدَّهْرُ أَوْ سَرَى عَلَيْنَا وَعَيْدُ مَنْ عَدُوْ مُكَايِدِ^(١)
كما أنه يعدّه مصدر الشر حيث قال :

كَانَ الدَّهْرُ فَعَالٌ الدَّهْرُ أَلْفَتَهُ والدَّهْرُ يُخْذُ وَهَنَا فِي الْجَلَامِيدِ^(٢)
فالزمان هو أساس التبدل والتغير الذي يحدث للبشر على رأي بشّار وقال أيضاً:

لَا تَأْمَنِي أَنْ تَجُورَ مَظْلَمَةً بَرِيَّهَا وَالزَّمَانُ يَنْقَلِبُ^(٣)

فالدَّهْرُ يسعى لتشتيت الجمع وتفريق الأحبة على رأي التطيلي حيث قال :
وَكُلُّ أَصَمٍّ أَخْرَسَ عِلْمُهُ صُرُوفُ الْجَهْرِ تَشْتِيتُ الشُّعُوبَ^(٤)
وبما يحدثه من ألم وحسرة وفرقة للبشر أصبحا في حال من عدم الأمان
وعدم الارتياح فهما يتخوفان بما يمكن أن يفاجئهما به الزمان. قال التطيلي :
والدَّهْرُ قَدْ هَذَّ الْقُلُوبَ فَأَصْبَحَتْ مَشْغُولَةٌ حَتَّى عَنِ الْخَفْقَانِ^(٥)
وقال أيضاً :

أَمَّا يَشْتَفِي مِنِّي الزَّمَانُ يَرُوعُنِي وَتَقْعُدُنِي أَرْزَاؤُهُ وَتَقِيمُ^(٦)

(٥) نفسه : ٤١/٣ .

(١) نفسه : ٨٠/٣ .

(٢) نفسه : ١٤٣/٣ ، والجلاميد : مفردا جلمود وهو : الصخر، لسان العرب، مادة جلمد :

١٢٩/٣ .

(٣) نفسه : ٢١٩/١ .

(٤) ديوان الأعمى التطيلي : ٢٠ .

(٥) نفسه : ١٩٧ .

(٦) نفسه : ١٦١ .

وعلى الرغم ما وصف به الزمان من غدر وقسوة وشدة فهو يتحمل ما لا يتحملة غيره على رأي التطيلي حيث قال :

هيهات أعيانك ما أعيان الزمان فلا ترتب وإن تستطع فاقدر كما قدرا^(٧)
والأعشى يتعقد من الزمان لاستوائه عنده إذ يراه ليلاً كُله ولذا يكثر من الحديث عن الليل ويبكي طوله، وببكائه طول الليل يبكي عماه فكلاهما مظلّم، والظلام يرتبط بمفاهيم عدّة ترفضها النفس الإنسانية، فالظلام رمز الجهل والكفر قال تعالى : ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾^(١)، ورمز القبح والشر واليأس، فالظلام غامض، ومروع والقوى الشيطانية تعرف على أنها قوى الظلام، فما دام العمى مكافئاً للظلام ومعادلاً لهذا الجزء من الزمن "الليل" فإنه يترتب على ذلك أن يكون مكافئاً لشتى مفاهيم الظلام، وبشار والتطيلي يكثران من شكوى طول الليل ويتمنيان زواله، وفي ذكرهما الليل أحسن القول فيه، وقد تكون العاهة سبباً في ذلك، واتّخذا من الليل رمزاً لعماهما، إذ كلاهما مظلّم ولذا أحسنا القول في ذكر الليل فيه يعبران عن عاهتهما .

فبشار حين يقرن طول الليل بالعشق إنما هي محاولة للتنفيس عن ألمه حيث قال :

أقول وليلتي تزداد طوْلاً أما لليل بعدهم نَهَار
جَفَتْ عيني عن التغميض حتّى كأن جفونَهَا عنها قِصَارُ
كأن جفونَه سُمِيت بِشَوِّكَ فليس لَوَسْتَه فيها قَرَارُ^(٢)

(٧) نفسه : ٤٣ .

(١) سورة البقرة من الآية : ٢٥٧ .

(٢) ديوان بشار بن برد : ٢٢٥/٣ .

يحاول بشار أن يتذرع لطول ليله فجعل من العشق سبباً لذلك فمَنه لا يستطيع النوم ولذا يشعر بطوله، ولكن على الرغم من محاولاته إخفاء الحقيقة لكنه لا يتمكن من إخفائها على الدوام، فحياته كلها ليل، قائلاً :

أشدين قد مضى ليلٌ وليلٌ أكابذه وقد قلق الوساد^(٣)

فما الليل الذي يكابده بشار ويتألم منه إلا عماه الملازم له الذي جعله يرى الحياة كلها مظلمة، قائلاً :

وطال عليّ الليلُ حتى كأنه بليين موصول فما يتزحزح^(٤)

مع اعترافه بالحقيقة وأن عماه دائم يتساوى فيه عنده الليل والنهار إلا أنه يمني نفسه بظهور صباح لليلة الطويل في محاولة منه التخفيف عن نفسه قال :

أقول وليلتي تزداد طولاً أما ليليل بعدهم نهار^(١)

فاستفهامه قد بين مدى انفعاله، وتأثره من طول هذا الليل الذي قد ضاق به ذرعاً، وقال أيضاً :

أبجرُ هل لهذا الليل صبحٌ وهل بوصول من أحببتُ نصحُ^(٢)

الشاعر في قلق وألم من طول ليله الذي يأمل زواله بفارغ الصبر واستفهامه الذي ينكر به طول الليل اقترن باسم الإشارة "هذا" الدال على القرب واللامسة وبهذا يمكننا أن نعد أن الشاعر يشير إلى عاهته التي يعانيتها، فعماه هو ليله القريب منه الملامس له، وبالرغم من محاولة الشاعر

(٣) نفسه : ٥٢/٣ .

(٤) نفسه : ٤٢/٤ .

(١) نفسه : ٢٢٥/٣ .

(٢) نفسه : ١٠٧/٢ .

التخفيف عن نفسه، وبث الأمل في إمكانية الرؤية والشفاء من عماه، إذ يرمز لعماه بالرّمْد الذي يصيب العين ويؤلمها ولكن تشفى بعد ذلك حين قال :

أرمد من نأيها ولو قربت يوما شفت عينه من الرّمْد^(٣)

لكنه على الرغم من أمّله، يقف على حقيقة عماه ودوامه فهو يعيش في ظلام يتساوى فيه عنده الليل والنهار قائلاً :

أب ليلي ليت ليلي لم يؤبُ إنّما الليل عناء للوصيب^(٤)
أرقب الليل كأنّي واجدٌ راحة في الصبح من جهد التعب
ولقد أعلم أنّي مُصبِح مثلما أمسيت إنّ لم تحتسب^(٥)
والعمى شيء مؤلم، وقاتل لصاحبه مؤثر على نفسيته، فيصوره بشار بالموت قائلاً :

وعينان يجري الردى فيهما ووجه يصلى له أسجح^(٦)
فالعمى موت للبصر وبه ينقطع الأعمى عن مشاهدة الإحساسات البصرية فيصاب بالكآبة والانطواء والعزلة، وأحياناً يصور بشار عماه بالقيّد الذي يكبله، ويمنع حركته قائلاً :

طال ليلي وبات قلبي جناحاً وملئتُ الغدال والنصّاحا^(٧)
ملّ الشاعر طوله ليله، فهو يحب الانطلاق والتّحرك بحرية فقد صار قلبه كجناح الطائر الذي يستعد للانطلاق مع بزوغ الصّباح، ولكن العمى قيّد صاحبه وحدّ من انطلاقته وحرّيته وقال أيضاً :

(٣) نفسه : ١٣٣/٢ .

(٤) الوصب : الوجد والمرض، لسان العرب، مادة وصب : ٧٩٦/١ .

(٥) ديوان بشار بن برد : ٣٦٢/١ ، ٣٦٣ .

(٦) نفسه : ٨٠/٢ ، والأسجح : المعتدل الحسن، لسان العرب، مادة سجع : ٤٧٥/٢ .

(٧) ديوان بشار بن برد : ٨٩/٢ .

نور عيني تركت قلبي جنّاحاً يوم فارقتني فحنّ وناحاً^(٢)
 ففقدته بصره جعله مقيداً، وجعل قلبه حزيناً متألماً لفقدته أعز شيء،
 والتّطيلي لا يقل عن بشار من شكوى طول الليل حيث قال :
 وطويل الليل مستوفزه يتلظى بين خوف ومود^(٣)
 طول الليل أزعج التّطيلي، وبعث في نفسه القلق وعدم الارتياح، وبما أنّ
 العمى ليل مظلم، فالتّطيلي يخافه لعدم إبصار ما يجري حوله، ويجعل عماءه
 قيداً يكبله ويحد من نشاطه وحرّيته حيث قال :
 وأمسكت الأفلاك عن دوراتها كأنّ لياليك الطوال لها شكل^(٤)
 حياة الشّاعر كلّها ليل فعماء دائم، لذا صار قيداً يكبله، ويمنعه من ممارسة
 ما يحب ويتمنى، فيشعر كأنّ الكون قد توقف وحرّم من الحركة بسبب تلك
 القيود، فالليل قد أمسك الأفلاك وقيداً فبقيت ثابتة في مكانها، والعمى في حدّه
 ذاته مؤلم، ويزيد من شدّته وألمه عندما يعاني الهموم . قال التّطيلي :
 دعت فأشاعت بثّها وسرورها واتضاء همي والدياجي بوارك^(٥)
 فصور نقل همومه وطول عماءه بالبعير المبارك الذي لا يأمل نهوضه،
 وقال بشار :
 وكان همّي والظلام تواعدا عندي فكلّ قد وفا بالموعد^(٦)
 وعندما تتعب نفسية الإنسان يزداد ألمه وقلقه، ومن ثمّ يزداد شعور
 الأعمى بعماءه، حيث قال :

(٢) نفسه : ٩٢/٢ .

(٣) ديوان الأعمى التّطيلي : ٣٩، والومد، الحر الشديد مع سكون الريح، لسان العرب، مادة
 ومود : ١٧٠/٣ .

(٤) ديوان الأعمى التّطيلي : ١١٠، والشكل : القيد، لسان العرب، مادة شكل : ٣٥٨/١١ .

(٥) ديوان الأعمى التّطيلي : ٩٣ .

(٦) ديوان بشار بن برد : ١١١/٣ .

عمى تحت جناح الليل لا يُغفي ولا يُقصِر^(١)

فالهم يُعتم النفس ويظلمها لتزيد ظلمة الأعمى، إذ يعاني من عمى خارجي لا يدرك معه الإحساسات البصرية، وعمى داخلي لا يشعر معه بالسعادة والاطمئنان نتيجة الهموم والآلام، فقد كان الزمان من أسباب قلق الشعارين وحزنهما وذلك لعدم إدراكهما له، فالزمن يمثل عندهما القلق والخوف وعدم الارتياح وقد ارتبط الليل عندهما بالعمى، وعند حديثهما عن الليل إنما يتحدثان عن عاهة العمى وما يعانيان منها من قلق وحيرة وعدم اطمئنان، وبالرغم من حزنهما وألمهما لفقدتهما أهم حاسة نجدهما يسعيان لإثبات الذات في محاولة منهما للتخفيف مما يشعران به من حزن وألم، فيذكران الإحساسات البصرية وكأنهما قد شاهداها .

(١) نفسه : ٢٧٢/٣ .

الخاتمة :

- عاش بشار بن برد والأعمى التطيلي في بيئتين مختلفتين، واستطاع كل واحد أن يثبت نفسه وسط بيئته الثقافية المليئة بالشعراء، ويأتي بما لا يقدر المبصرون الإتيان به، فكل يسعى لإثبات الذات .
- صدرت عن الشاعرين ردود فعل متنوعة ناجمة عن فقدان البصر كان لها أثر كبير على الصورة الشعرية . من ذلك إنكار العاهة والتبرير لها، والسخرية والتهكم من الآخرين، وكلها محاولات لتخفيف الألم الذي تورثه العاهة .
- تدفع عاهة العمى صاحبها إلى الاعتداد بالبصيرة إثباتاً للذات، وأنه لا ينقصه شيء عن المبصر بل يفوقه ببصيرته .

المصادر والمراجع :

- أبو العلاء المعري، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة .
- الأدب الأندلسي في عصر الموحدين، حكمت على الأوسبي، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة، مصطفى سوييف، دار المعارف، مصر، ط ٢، ١٩٥٩ .
- الاطمئنان النفسي أبو مدين الشافعي، دار الفكر للطبع والنشر .
- الأعلام خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٩٩٥ .
- الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني، تحقيق إبراهيم الأنباري، الشعب، القاهرة، ١٩٦٩.

الصورة الشعرية عند فكر وإبداع بشار بن برد والأعشى التطيلي

- الأعشى التطيلي حياته وأدبه، عبد الحميد الهرامة، المنشأة الوطنية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ط ١، ١٩٨٣ .
- البرصان والعرجان والعميان والحولان، الجاحظ، تحقيق محمد مرسي الخولي، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٩٨١ .
- بشار بن برد، دراسة وشعر محمد الصادق عفيفي، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ١٩٨٣ .
- تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٢ .
- تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، منشورات المكتبة البوليسية، بيروت، لبنان .
- تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط ٨ .
- تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، طه حسين، دار العلم للملايين .
- تاريخ الأدب العربي الأعصر العباسية، عمر فروج، دار العلم للملايين .
- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان .
- تاريخ الشعراء المحدثين كتاب الأوراق لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي، دار المسيرة، بيروت، لبنان ط ٢، ١٩٨٢ .
- توشيع التوشيح، صلاح الدين أبيك، تحقيق ألبيير حبيب، دار الثقافة، ط ١، ١٩٦٦ .
- جامع البيان في تفسير القرآن، لأبي جعفر الطبري، دار الجيل، بيروت .

- الحل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، شكيب أرسلان، دار مكتبة الحياة، بيروت .
- خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء المغرب والأندلس، لعماد الدين الأصفهاني الكاتب، تحقيق أنرتاش آذرناش، نقحه وزاد عليه محمد المرزوقي وآخرون، الدار التونسية للنشر، ١٩٧٢ .
- خزنة الأدب، عبد القادر البغدادي، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٨ .
- ديوان الأعمى التطيلي، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٨٩ .
- ديوان بشار بن برد، تقديم وشرح وتكميل محمد الطاهر بن عاشور .
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، لابن بسام، تحقيق إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ١٩٨٧ .
- رحلة الشعر العربي من الأموية إلى العباسية، مصطفى الشكعة، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٩٧٩ .
- رسالة الغفران، لأبي العلاء المعري، دار صادر، بيروت .
- السخرية في أدب الجاحظ، السيد عبد الحليم محمد حسين، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والأعلام، ط ١، ١٩٨٨ .
- الشعر وطوايعه على مِر العصور، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر ١٩٧٧ .
- علم النفس، رمضان القذافي، منشورات، الجامعة المفتوحة، طرابلس .
- الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت .

- الفكاهة في الأدب الأندلسي، رياض قزيحة، المكتبة العصرية، بيروت، ط ١، ١٩٩٨.
- الفكاهة والضحك في التراث العربي المشرقي من العصر الجاهلي إلى نهاية العصر العباسي، رياض قزيحة، قدم له وراجعته، ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط ١، ١٩٩٨.
- قلائد العقيان، الفتح بن خاقان، قدم له ووضع فهرسه، محمد العنابي، دار الكتب الوطنية، تونس.
- الكامل في التاريخ، لابن الأثير، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ٣، ١٩٩٨.
- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت.
- مختار الأغاني لأبي الفضل جمال الدين بن منظور المصري، المكتبة المركزية، ط ١، ١٩٦٤.
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان، للبيافعي، وضع حواشيه خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط ١١، ١٩٩٧.
- مراجعات في الأدب والفنون، عباس محمود العقاد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٦٦.
- معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت.
- معاني الشعر، عثمان سعيد الأشنانداني، حققه عز الدين التتوخي، دمشق، ١٩٦٩.
- المعري في فكره وسخريته، عرفان عبيد العلي، دار أسامة، عمان، الأردن، ط ١، ١٩٩٩.

- المغرب في حلي المغرب، لابن سعيد المغربي، حققه وعلق عليه شوقي ضيف، دار المعارف، مصر ط ٢ .
- ميزان العمل للإمام الغزالي، حققه وقدم له، سليمان دنيا، دار المعارف، مصر ط ١، ١٩٦٤ .
- الوافي بالوفيات، صلاح الدين بن أبيك وآخرون، باعتناء إحسان عباس، دار النشر فرنز شتايز بنسبادن، ط ٢، ١٩٨١ .
- وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، لابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٦٩ .

